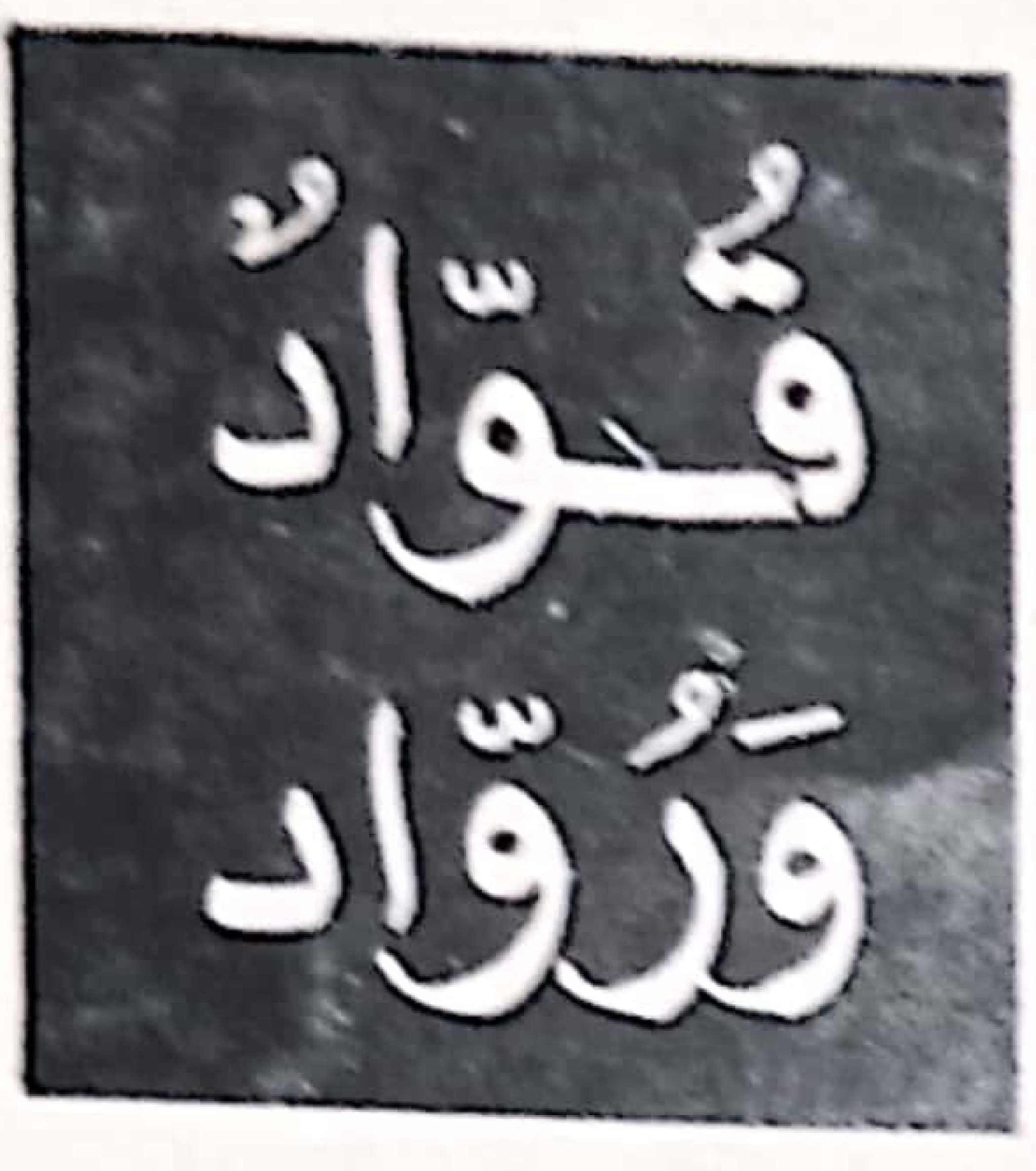
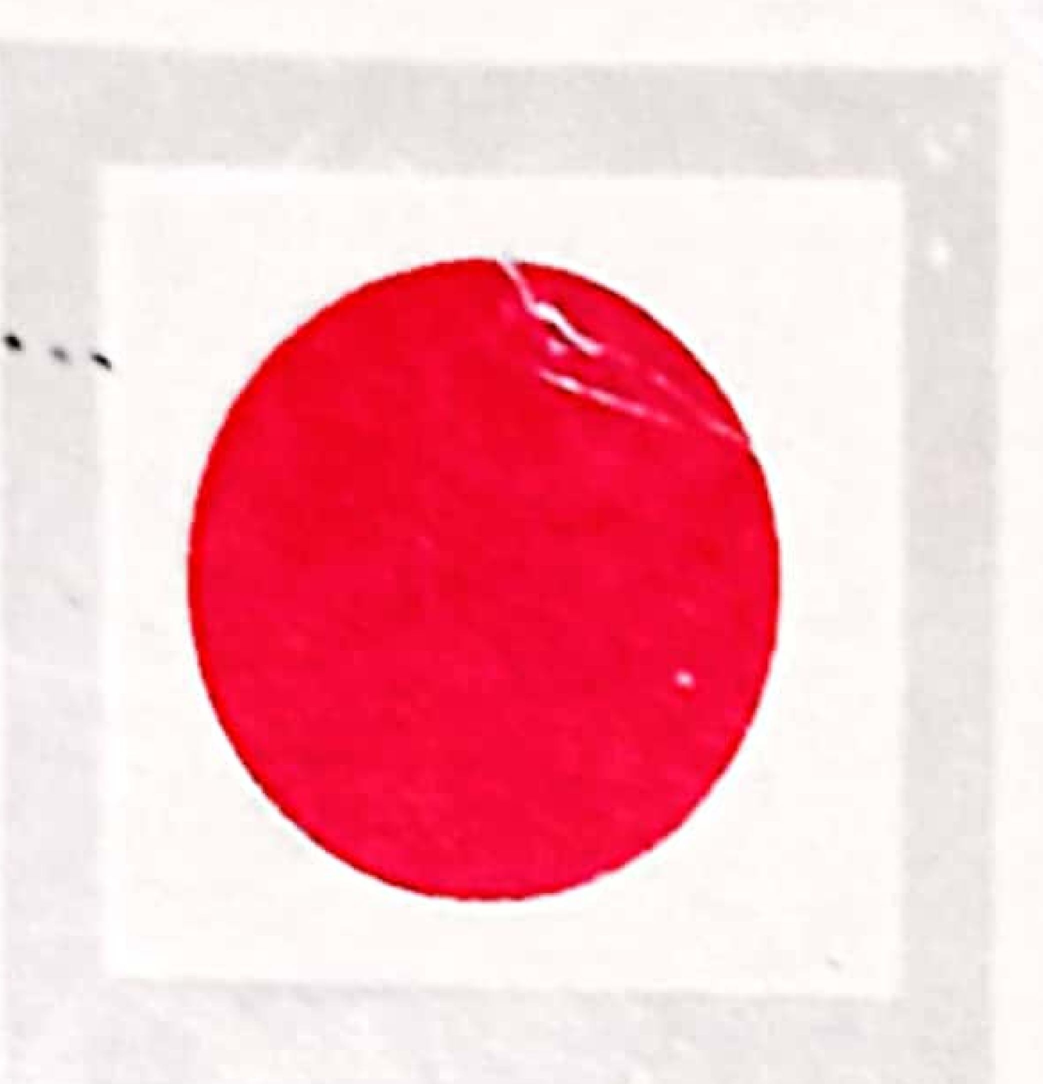




• ثقافة لجميع الأولاد •

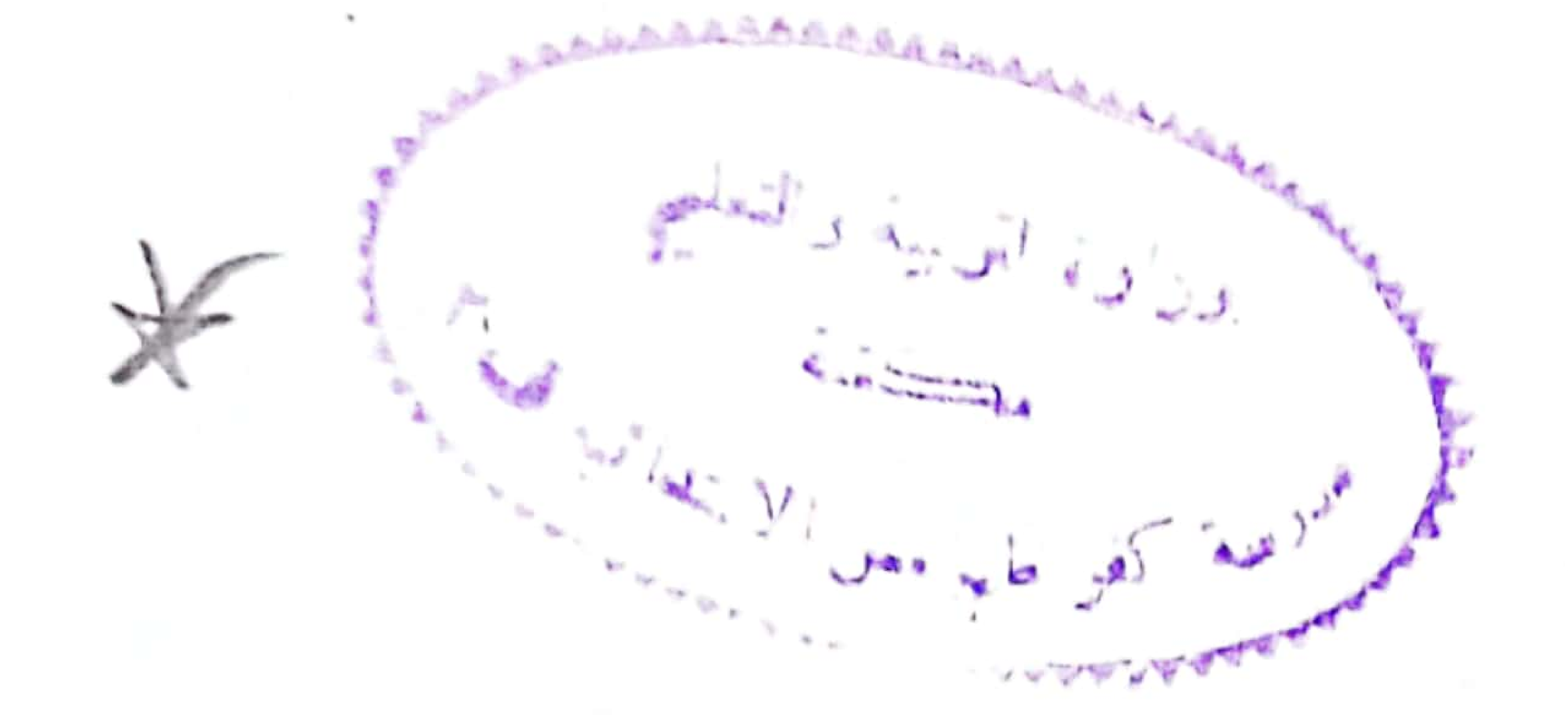
السيدة العظيمة

ماري كوري

مكتشفة الراديوم

وصفي آل وصفي





قُوَّادٌ وَرُوَّاد

السَّيِّدَةُ العَظِيمَة

ماري كوري « مكتشفة الراديوم »

للأستاذ

وَصْفِي آل وَصْفِي

الحائز على وسام العلوم والفنون

نهضة مصر

للطباعة والنشر والتوزيع

(١)

رَفَعَ « عَرَبِى » الكتابَ بَيْنَ يديْهِ وراحَ يقرأُ باهتمام ، فَلَمْ يَنْتَبِهْ إلى « عَلْياءَ » وهى تَقِفُ عِنْدَ الباب . . تنظُرُ إلَيْهِ وتَبْتَسم !

وَبَعْدَ قليلٍ تقدّمتْ علياءُ وفاجأتْهُ مُدَاعِبَةً :

ـ إلى هذا الحدّ يشغَلُكَ الكتابُ يا عربى، فلا تشعُرُ بدُخُولِ ابنَةِ عمِّكَ . . التى هى أنا ؟ !

فالتفتَ عربى وأجابَ بسُرْعَة وحماسة :

ـ أَجَلْ ! أَجل ! إنّها مِائَةٌ وثلاثَةٌ وثلاثُونَ يا علياءُ ! !

ارتفعَ حاجِبَا علياءَ ، ثم ضَحِكَتْ وسألتِ ابْنَ عَمِّهـا :

ـ ماذا . . هل تتعلَّمُ العَدَّ مِنْ جَدِيد يا عربى ؟ !

فهزَّ عربِى رأسَهُ وأوضَحَ قائلا .

ـ لا يا علياءُ ! إنها السيِّدَةُ « كُورى » . . « مارِى

كُورِى » . . مائةٌ وثلاثةٌ وثلاثُونَ من الجوائز والأَوْسِمَةِ الدّوليّةِ والأَلْقَابِ الفَخْرِيّةِ حَصَلَتْ عليها تِلْكَ السيّدةُ العَظِيمة !

عِنْدَئِذٍ جلسَتْ علياءُ وابتسَمَتْ تَقُول :

ــ أَغْلِقِ الكتابَ إِذَنْ يا عزيزى ، ثم افْتَحْهُ مِنْ أوّلِهِ مرّةً ثانِيَةً وحَدِّثْنى بِقِصّةِ تلكَ الجوائِزِ والأَوْسِمَةِ والأَلْقَاب . . أَقْصِدُ حَدِّثْنى بِقِصّةِ صاحِبَتِها !

أَغْلَقَ عربِى الكتابَ ووضَعَهُ أَمامَه ، وتناوَلَ بَعْضَ الأوراقِ وقال :

ــ لَيْسَ هذا أَوّلَ كتابٍ أُطالِعهُ عَنِ العالِمَةِ البُولُونِيّةِ المَشْهُورَة ! وأنا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرْجِعَ إلى المُذَكّراتِ الى لَخّصْتُ فيها ما قرأتُ وأَحْكِى لَكَ مِنها قِصّةَ السيّدةِ مارِى كُورِى ، مُنْذُ كانَتْ طِفْلَةً صغِيرَةً فى مدينَةِ « فارسُوفيا » . .

رَدَّدَتْ علياءُ الكَلِمَةَ مُسْتَفْهِمَةً : «فارسُوفيا ؟» . .

فأَجاب عربى عن استفهامِهَا :

ـ نَحنُ نُطْلِقُ علَيْهَا اسمَ « وارْسُو » ، وهى عاصِمَةُ «بُولَنْدا» . .

وفى النِّصْفِ الثَّانى منَ القرنِ التَّاسِعَ عَشَرَ ، كانَتْ بُولندا واقِعَةً تَحْتَ السَّيْطَرَةِ الرُّوسية ! وكان الشعبُ البُولَنْدِيُّ فى ثورةٍ دائمة ، يُقَدِّمُ آلافَ الشُّهداءِ فداءً لِحُرِّيَّةِ وطَنِهِ الغالى !

وكلما قَضَى الرُّوسُ على ثورة مِنَ الثَّوْرَاتِ كانَ المُثَقَّفُونَ البولنديُّونَ يحكُونَ للنَّاسِ تاريخَ بلادِهِمُ القَديمَ والحديث ؛ ليأْخُذُوا مِنْهُ العبرةَ والموعِظَةَ ويستَعِدُّوا للقيامِ بثَوْرَةٍ جديدة ! !

وفى المدارسِ كان المدرسونَ والمُدرِّساتُ يُعَلِّمُونَ الأَطفالَ تاريخَ بُولندا سِرًّا ، ويغرِسُونَ فى نُفُوسِهِمْ بُذُورَ المقاوَمَةِ والكفاحِ ضِدَّ المُعْتَدِين !

عقَبَتْ علياءُ بزَهْوٍ وفخر :

ـ عندما يحتاجُ الوطنُ إلى أطفالِهِ فإنَّهُم يقومُونَ بكُلِّ ما يقومُ بهِ الكبار !

فابتسمَ عربي ووصَلَ كلامَهُ فقال :

ـ وكانَتْ مارِي ،ابْنَةُ السيِّدِ «سكلُودُ وفسكى» المُدَرِّسِ بإِحْدَى مدارِسِ وارسو ، هى التلميذةُ التى وقعَ عليْهَا الاختيارُ لِتُواجِهَ الاستعمارَ الرُّوسِيَّ !

لم تُصَدِّقْ علياءُ ما تَسْمَع ، وبدا علَيْهَا ذلك . .

فأَضافَ عربى بسُرْعة :

ـ كان مُفَتِّشُ المدارسِ الرُّوسِيُّ يُفَاجِئُ مدرَسَةَ مارِي فى أَوقات مُخْتَلفة ، ويسأَلُ البناتِ أَسئلَةً كثيرةً صعبة . . مُحاوِلاً أَنْ يَجِدَ الدَّليلَ على قيامِ المُدرِّساتِ بتَحْرِيضِ التلميذاتِ ضِدَّ رُوسيا !

وكانَتْ مارِي هى التى تتقدَّمُ دائِماً للإجابَةِ

على أسئِلَتِهِ بشجاعَةٍ وذكاء ، فينصَرِفُ كما جاءَ وهو لا يَمْلِكُ غيرَ شُكُوكِه ! !

قالَتْ علياءُ :

ـ أعتَقِدُ أنَّ المُدَرِّساتِ اخْتَرْنَ مارِى للقيامِ بهذا العملِ الرائع لأنَّ والدَها كان مُدَرِّساً مِثْلَهن !

فهزَّ عربِى رأسَهُ يَنْفِى كلامَها ، وقال مُؤَكِّدًا :

ـ لا يا علياءُ ! لَقَدِ اختارَتْهَا مُدَرِّساتُهَا لِذَلكَ الدَّوْرِ الخطيرِ لأَنَّها كانَتْ باستمرارٍ فى طليعةِ زميلاتِها جَمِيعًا ، فهى الأُولى فى مادَّةِ الحساب . . وهى الأُولَى فى مادةِ التَّاريخِ ومادَّةِ الأَدَبِ واللُّغَات . . وهى الأُولَى فى الدِّينِ أَيْضا ! !

عادَتْ علياءُ تَقُول :

ـ أعتقِدُ أنَّ والِدَها المُدَرِّسُ كان يُساعِدُها فى دُرُوسِها ؛ لذلك تفوقَتْ علىَ زميلاتِها !

فضَحِكَ عربى وردَّ قائِلاً :

ـ طبعًا كان والِدُها يُساعِدُها ، كما كانَ يُساعِدُ أَخاها وشَقِيقَتَيْها . لكنَّها كانت تبْذُلُ جهْدًا كَبيرًا من جانِبِهَا لتتعَلَّمَ وتتقدَّم ، فقرأَتْ فى سِنٍّ مُبكِّرةٍ كُلَّ ما وجَدَتْهُ فى مكتبَةِ أَبيها من كُتُب علميَّةٍ وأَدبيَّةٍ وكُتُبِ القِصَصِ والمُغامرات !

ضحِكَتْ عَلْياءُ وهى تقول :

ـ أَعتقدُ أَنَّ مكتَبَةَ والِدى لَيْس بِها قِصصٌ ولا مُغامرات !

فضَحِكَ عربى بدوْرِهِ وهو يُقَلِّدُها قائِلاً :

ـ أَعتقِدُ أَنَّ مكتبةَ عَمِّى بها الكثيرُ مِنَ الكُتُب العلميَّةِ ، وأَعتَقِدُ أَنَّ مارى سكلُودُ وفسكى اهتَمَّتْ كثيرا بالكُتُبِ العلميَّةِ . . وأَنها طالَعَتْ كُتُبَ القِصَص والمُغامراتِ فى أوقاتِ فراغِهَا يا عَلْياء ! !

(٢)

قالَ عربى :

- كَبِرَتْ مارِى ، وانتَهَتْ من دراستِها الثانويَّةِ فلَزِمَتِ المَنْزِلَ . . ففِى ذلك الوقتِ لم تكُنْ جامِعَةُ وارْسُو تَقْبَلُ الفتيَات !

ولم يَكُنْ دخْلُ السيِّدِ سكلُودُوفسكى يكفِى للإنفاقِ على بناتِهِ الثَّلاث : « بُرُونيا » و « هِيلا » و مارِى . . وأَخيهِما الوحيدِ « جُوزيف » . . فأَخذَ الأَشِقَّاءُ الأَربعَةُ يُعْطُونَ دُرُوساً مُقابلَ قُرُوش قليلة !

هزَّت علياءُ رأسَها وقالَت :

- بُرُونيا . . هِيلا . . جُوزيف . . وسكلُودُوفسكى ! أَسماؤُهُمْ غريبَةٌ جِدًّا ! !

فأَسرع عربى يلُومُها :

- يا علياء !

إذا عرَضنا اسْمَكِ الجميلَ على شخص أُوربىٍّ

مَثَلاً ، فَسَوْفَ يَنْطِقُهُ هكذا : « أَلْياء » ! وسوف يبدُو لَهُ اسْمًا غَرِيبًا حقًّا ! ثم لا تَنْسَىْ أَنَّ الناسَ يُقَدِّرُونَ بِأَعمالِهِمْ وليسَ بِأَسمائِهِم !

قال ذلك وتابع كلامَه :

ـ والآنَ تعالَىْ نَنْظُرُ إلى الأَعمال .. أعمال مارى سكلُودُوفسكى !

مضتِ الأَيَّامُ فبدأَتْ مارِى تُفَكِّرُ فى مُستَقْبَلِها ، ومُسْتقبَلِ أُخْتِها بُرُونيا . .

كان شقيقُها جُوزيف قَدِ التَحَقَ بكُلِّيةِ الطِّب ..
وشقيقَتُها هِيلا شُغِلَتْ بالغِنَاء . .

وبَقِيَتْ هى وبُرُونيا تَحْلُمانِ بالسَّفَرِ إلى « باريسَ » عاصِمَةِ فَرَنْسا وأَكْبَرِ مركَزٍ عِلْمِيٍّ فى ذلك الوقت ؛ لِتُواصِلاَ دراسَتَهُما ثم تَرْجِعَا إلى الوَطَنِ فتخدُمَاهُ بِعِلْمِهِمَا . .

وذاتَ يَوْم جلسَتْ تُحَدِّثُ بُرُونيا وتقول :

« اسْمعِى يا بُرُونيا يا حَبِيبَتى ! إذا اسْتَمَرَّ الحالُ على ما هُو عليْهِ فلَنْ تُحَقِّقى أَحلامَك أَبداً ، وأَنا أَيْضًا لن أُحَقِّقَ شَيْئًا من أَحلامى ! !

لابُدَّ من أَنْ نتحالَفَ يا بُرُونيا !

تُسافِرِينَ أَنْتِ أَوَّلاً إلى بارِيسَ حيث تلحقِينَ بكُلِّيَّةِ الطِّبِّ وتبدَئِينَ بالإنفاقِ من مُدَّخراتِك ، وقبْلَ أَن يَنفَدَ ما مَعَك أَكُونُ أَنا قد وَجَدْتُ عَمَلاً كَمُربِّيَةٍ عِنْدَ أُسرَة ثرِيَّة ، وعِنْدئِذٍ أُرْسِلُ لَكِ جُزْءاً من أَجْرِى و أَدَّخِرُ الباقى . .

وبَعْد أَن تُصْبحِى طبيبةً عظيمة ، يَجِىءُ دَوْرِى فأُسافِر إلى باريسَ لأَدْرُسَ العُلُومَ . . وعندئذ تُساعِدِينَنى أَنْتِ ! » . .

ولَمَعَتِ الدُّموعُ فى عَيْنَىْ بُرُونيا وهى تسأَل : « ولماذا أُسَافِرُ أَنا أَوَّلاً يا مارِى ؟ ! » ، فَلَمْ يتأَخَّرْ رَدُّ مارِى الضَّاحك : « لأَنَّكِ بَلَغْتِ العِشْرِينَ من عُمْرِك يا بُرُونيا ، وأَنا أَصْغَرُ مِنْكِ بثَلاثِ سَنَوَات .. لذلك لابُدَّ من أَنْ تَسْبِقِينى و أَلْحَقَ أَنا بِك ! » . .

* * *

سافَرَتْ بُرُونيا إلى باريس . .

ووَفَتْ مارِى بِوَعْدِها ، فكانَتْ تُرْسِلُ إلى شقيقَتِها ما يُعينُها على مواجَهَةِ تكالِيفِ الحياةِ بباريسَ ونَفَقاتِ الجامعة . .

وَمِنْ أَجْلِ ذلك سافرَتْ إلى أَعماقِ الرِّيفِ لِتَحْصُلَ على عَمَل بأَجْر كبير . .

رَكِبَتِ القطارَ ثَلاثَ ساعات ، ثم رَكِبَتْ عربةً

زاحِفَةً علَى الجليدِ أَرْبعَ ساعاتِ أُخْرَى.. لِتَصِلَ إلى البَيْتِ الذى ستَعْمَلُ به مُرَبِّيَةً لِثَلاثَة أَطْفال !

وفى غُرْبتِها تتألَّمُ مارِى سكلُودُوفسكى كثيرا ..

تَعْمَلُ مِنَ الصَّباح إلى المَسَاءِ كُلَّ يَوْم !

وتُسىءُ إلَيْها الأُسْرَةُ التى تَعْمَلُ لَدَيْها !

وتُضْطَرُّ إلَى أَن تُرْسِلَ لبرونيا ، وإلَى هيلا وجُوزيفَ ووالِدِها ، كُلَّ أَجْرِها !

ولا تَعُودُ ثيابُها صالِحَةً لِحِمايَتِها من بَرْدِ الشِّتاءِ الشديد !

ومع ذلك فهى تضَعُ آخِرَ طابع بَرِيد تملكُهُ على خطاب تُرْسِلهُ لأَخِيها ، تُطَمْئِنُهُ فيهِ مُؤَكِّدَةً أَنَّ مَبْدَأَها فى الحياةِ هو أَلاَّ تُعطِّلَها الظُرُوفُ .. والأَحْدَاثُ .. وأَلاَّ تَقْهَرَهَا تَصَرُّفاتُ النَّاس !

هتفَتْ علياءُ وهى تضحك :

ـ أَحسَنْتِ واللهِ يا بنتَ العمِّ سكلُودُوفسكى !

تصَوَّرْ يا عربى يابْنَ عمِّى !

بَعْدَ هذا الذى تقُولُهُ الأُخْتُ مارِى ، ما يزالُ بَعْضُ الرِّجالِ يظنُّونَ أَنَّ العظَمَةَ مِلْكٌ لَهُمْ وحدَهم ! !

فردَّ عربى وهو يُشارِكُهَا الضَّحك :

ـ لا يا علياءُ يا بِنْتَ عَمِّى !

الرَّجُلُ العظيمُ عَظِيمٌ ، والمَرأَةُ العظيمةُ عظِيمَةٌ أَيْضًا ! !

ثم التفتَ إلى أَوراق مُذَكِّراتِه وقال :

ـ إنَّ عظمَةَ مارِى الحقيقيَّةَ تَظْهَرُ بجلاءٍ عنْدَما نعرِفُ أَنَّها لم تَنْسَ بَنِى وطنهَا وهى غارقَةٌ فى متاعِبِهَا !

فهى تختارُ من أبْنَاءِ الفلاّحِين الفُقَرَاء عِشْرِين صَبيًّا وصَبيَّةً ، وتقُومُ بتعليمِهِمُ القراءَةَ والكتابة . . مُعَرِّضَةً نَفْسَهَا لِغَضَبِ السُّلطاتِ الرُّوسيَّةِ ، التى كانَتْ تُطَارِدُ كُلَّ مَنْ ينشُرُ العِلْمَ بين جماهيرِ الشعب ! !

(٣)

عاد عربى يُحَدِّثُ علياءَ بقصةِ السيدةِ العالِمَةِ مارِى كُورِى ، فقال :

ـ ظلَّتْ مارِى كُورِى تَعْملُ مربيَةً للأَطفالِ سِتَّ سنواتٍ ، قَبْلَ أَن يتحقَّقَ حُلْمُها فتَأْخُذَ حظَّها مِنَ العِلْم . .

وأَخيراً سافَرَتْ إلى باريسَ والتحقَتْ بكليَّةِ العُلُوم عامَ ١٨٩١ .وهناك أَقامَتْ مع شقيقَتِها بْرُونيا التى أَصبحَتْ طبيبَةً وتَزَوَّجَتْ طبيباً بُولنديًّا شابًّا !

وَمِنْ حَىِّ « المذبح » حَيْثُ تسكُنُ شقيقَتُها ، كانت تَخْرُجُ مُبَكِّرَةً كُلَّ صباح لتركَبَ حافِلَةً ذاتَ طابقَيْنِ تَجُرُّها الخُيُول ! وفى الطَّابق الثَّانى تجلسُ لتتأَمَّلَ المنازِلَ والمتاجِرَ التى تَمُرُّ بها ، غَيْرَ أَنَّ خُطُوَاتِ الخُيولِ تَبْدُو لها بطيئَةً للغاية . . فهى

تُرِيدُ أن تَصِلَ إلى الكُلِّيةِ بسرعَةٍ لتسمع الكلام الرَّائِعَ الذى يقولُهُ أساتِذَةُ العُلوم !

ولمَّا لم تتعلَّمْ خُيولُ العربةِ أن تَجْرِى بسرعَةٍ ، وتختَصِرَ الوقتَ الطَّوِيلَ الذى يضيعُ كُلَّ يَوْم فى الانتِقَال من حَىِّ المذبح إلى الكُلِّيَة ، قرَّرَتْ مارِى أَمْرًا أَخبرَتْ به شقيقَتَها وزوْجَهَا فقبِلاهُ بَعْدَ تردُّد . .

تركَتْ مارِى مسكِنَ أُخْتِها ، وسكَنَتْ غُرْفَةً صغيرةً فى حىٍّ لا يبعُدُ عن كُلِّيَّةِ العُلوم أَكْثَرَ من عِشْرِين دقيقَة ! وفى هذا الحىِّ عاشَتِ الطَّالِبَةُ البُولندِيَّةُ المناضِلَةُ فى وَحْدَةٍ تكادُ تكونُ تامَّة ، لا تُفكِّرُ إلَّا فى الكُتُب العلمِيَّة . . ومُحاضراتِ العُلُوم . . والمعامِلِ التى يُجْرِى العُلَمَاءُ فيها التَّجاربَ العِلْمِيَّة !

وعلى الرَّغم من مساعدةِ برُونيا فإنَّ ميزانِيَّتَها لم تَكُنْ تَزِيدُ على ثلاثَةِ « فرنكات » فى اليَوْم ، أى

مايُسَاوى عَشَرَةَ قُرُوش تقريبًا ، تَدْفَعُ مِنْهَا أَجْرَ الغُرْفة . . وثَمَنَ طعامِها . . وملابِسِها . . وكُتُبِها . . وأوراقِها . . ورُسُومَ الالتحاقِ بالجامِعَةِ أَيْضًا ! !

كانَتْ تسيرُ عَلَى قدمَيْهَا إلى الكُلِّيَّةِ فتتخلَّصُ من أَجْرِ الحافِلَة ! وتلجأُ إلى المكتباتِ العامَّةِ حتى تُغْلِقَ أَبوابَهَا فى العاشِرَةِ مساءً ؛ لتقتصدَ بعضَ وَقُود الإضاءَةِ والتَّدْفِئَة ! ثم تعُودُ إلى غُرْفَتِها لتستأنِفَ القراءَةَ على ضُوءِ مصباحٍ بترولِيٍّ حتَّى الثَّانيةِ بَعْدَ مُنْتَصَفِ الليل . .

وكانت تعيشُ على الخبزِ و « الشيكولاتة » أَسابيعَ طويلة ! !

هزَّتْ علياءُ رأسَها وأَنْكَرَتْ ماتَسْمَع :

ـ غَيْرُ معقول ! هذا غَيْرُ مُمكن ! !

فَضَحِكَ عربى وقال :

ـ إنَّ ما أَقولُهُ لَكِ يا علياءُ كان معقُولاً عِنْدَ مارِي سكلُودُوفسكي ، التي كانت تَطْمَحُ إلى الحصُولِ على شهادَتَيْ « لِيسانْس » ولَيْس عَلى شهادةٍ واحدة ! وكان مُمْكِنًا كذلك ، بدَلِيلِ أَنَّها حَصَلَتْ فِعْلًا على « ليسانْسِ الطَّبِيعة » عامَ ١٨٩٣ و « ليسانْسِ الرِّياضة » عامَ ١٨٩٤ ! !

مضى بَعْضُ الوقتِ وعلياءُ تنظرُ إلى عربي ، ثم ابتسمَتْ وقالت :

ـ فَهِمْتُ أَنَّ كلَّ ما قُلْتَ لي عن مارِي سكلُودُوفسكي كان معقُولًا عنْدَها ومُمْكنًا كذلك ، وبَقِيَ أَنْ أَفْهَمَ حكايَةَ اسْمِها !

أَنْتَ تقولُ مارِي سكلُودُوفسكي فأَعْرِفُ اسْمَها ؛ لأَنَّ أَباها هو السيِّدُ سكلُودُوفسكي . لكنَّك بدأْتَ تُحدِّثُنِي عَنْها فقُلتَ « مارِي كُورِي » ، ثم غافَلْتَنِي

مَرَّةً ثانِيَةً وقُلْتَ « كُورِى » أَيْضًا .. فَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ لها بهذا الـ « كُورِى » ؟ !

فأَجابَ عرِبِى ضاحِكاً :

– إنَّها الأَقدارُ التى أَتَتْهَا بِهِ ولَسْتُ أَنا ياعلياء !
هذا الـ « كُورِى » هو زَوْجُها « بِيير كُورِى » ، وفى أُورُبَّا تَتْرُكُ البنتُ لقبَ عائِلَتِهَا عِنْدَما تتزوَّجُ وتَحْمِلُ لقبَ زَوْجِها !

وبِيير كُورِى عالِمٌ فرنسِىٌّ عبقرِىٌّ ، قَدَّمها إِلَيْهِ فى أَوَّلِ عامِ ١٨٩٤ عالِمٌ بولندِىٌّ من أَصدقائِها جاءَ لِيُلْقِىَ بعضَ المحاضراتِ فى باريس ..

كانت تَبْحَثُ عَنْ مكانٍ تقومُ فيهِ بتجاربِهَا وأَبحاثِها ، فجَمَعَ العالِمُ البولندِىُّ بَيْنَهَا وبَيْنَ بِيير كُورِى ورَجاهُ أَن يُساعِدَها .. وفى العامِ التَّالِى تزوَّجا وعاشَا حياةً سعيدةً يَتَبادلانِ فيها المحبةَ ويتَعاونَانِ علىَ العَمَلِ وَيخدُمانِ العِلْمَ !

عَمِلَ الزَّوْجانِ بِيير ومارِى كُورِى جَنْباً إلى جَنْب ، فكَشَفَا بَعْدَ سَبْعِ سنواتٍ مِنَ الجُهْدِ المُتَّصِلِ عُنْصُراً جديداً هو عُنْصُرُ « الرَّادْيُوم » . .

وقَبْلَ أَنْ تتمكَّنَ علياءُ مِنَ السُّؤالِ ، كان عربى يقُولُ وهو يَنْظُرُ فى مُذَكِّراتِه :

ـ والرَّاديوم عُنْصُرٌ أَبْيَضُ لامِعٌ ، تَصْدُرُ عَنْهُ إشعاعاتٌ شديدَةُ التَّأْثِيرِ فى الأَجسامِ التى تتعرَّضُ لها . .

وقُوَّةُ الإِشعاعاتِ التى تصدرُ عَنِ الرَّاديوم تزيدُ حوالَىْ مليونَىْ مرَّةٍ على قُوَّةِ الاشعاعاتِ الناتجةِ عن عُنْصُرِ « اليُورانْيوم » ، وهو العنصرُ الذى تُصْنَعُ منه القنبلةُ الذَّرِيَّة !

والرَّاديوم له استعمالاتٌ وفوائِدُ كثيرة ، أَهَمُّها علاجُ بَعْضِ الأَنواعِ من مرضِ « السَّرَطان » !

رَجَعَ عربى إلى القِصَّةِ فقال :

– عَمِلَ الزَّوْجانِ معاً ، وقاما بأبْحَاث علْمِيَّة لا حَصْرَ لها . ونالاَ شُهْرَةً كبيرةً ودَعَتْهُما المجامع العلميَّةُ فى عواصمِ أُورُبَّا لإِلقاءِ المحاضراتِ ، واسْتَقْبَلَهُما مُلُوكُ الدُّوَلِ ورُؤَساؤُها !

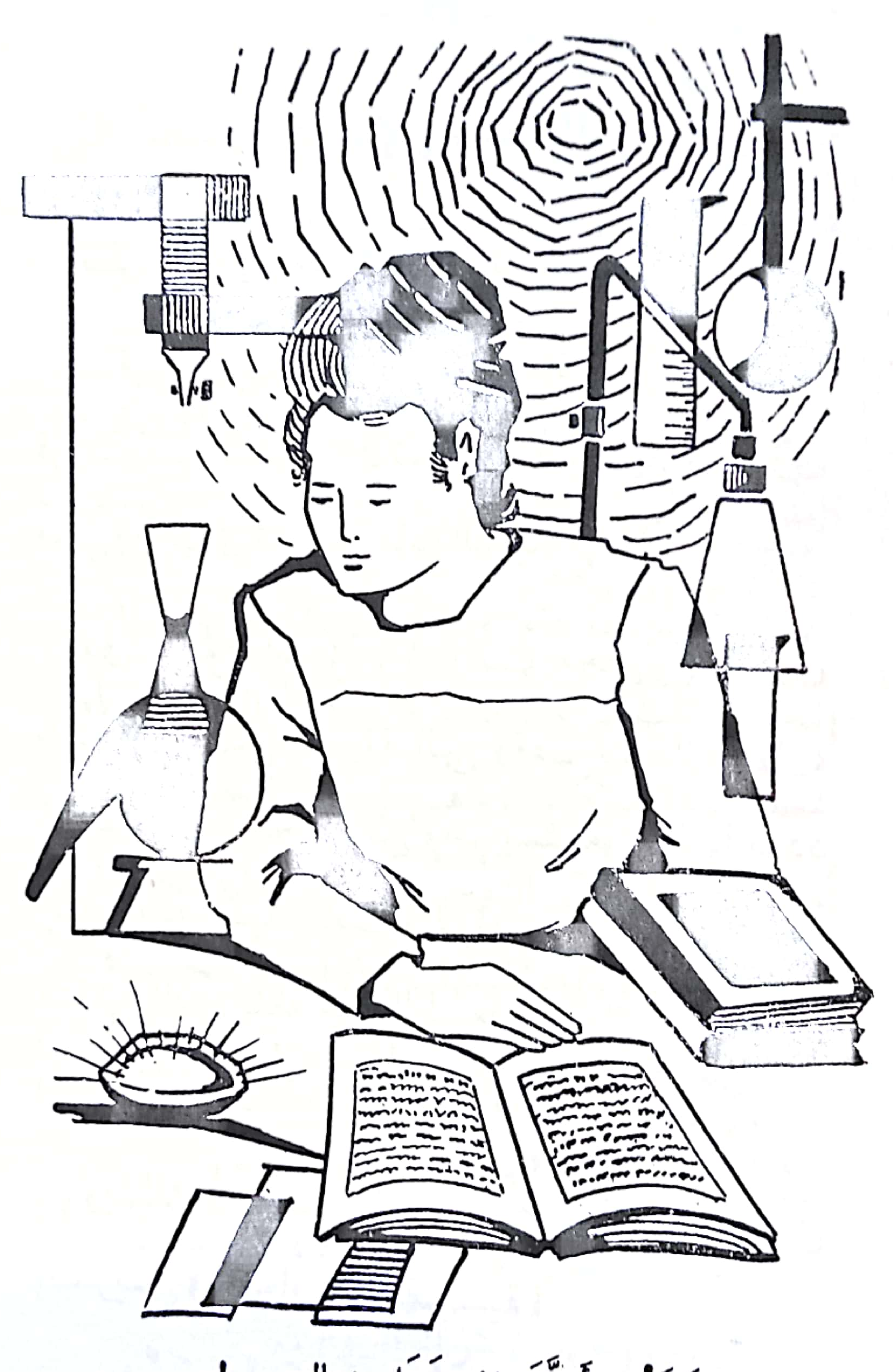
وفى هذه الأَثناءِ حَصَلَتْ مارِى كُورِى على درجةِ « الدكتُوراه » ، وأَصْبَحَ بِيير كورى أُسْتاذًا بكُلِّيَّةِ العُلُومِ و عَيَّنَتِ الجامعَةُ مارِى مُساعِدَةً له !

وهكذا ودَّعا مَعْمَلَهُما القديمَ حيثُ كشَفَا عُنْصُرَ الرَّاديوم ، ودَّعا ذلك المخزنَ المهجُورَ الذى سَمَحَتْ لَهُما مَدْرسَةُ الطبيعَةِ والكيمياءِ باستخدامِه .. وكانا يقُومانِ فيه بجميعِ الأَعمالِ الشاقَّة : يحملان المعادِنَ والوقُودَ إلى داخلِ المخزن . . يُشْعلانِ النَّارَ فى الموْقِد . . ويَصْهَرانِ المعادِنَ بَحْثاً عن المادَّةِ الجديدة التى

لم ييئسا مِنَ العُثورِ عليْها أربعَ سنواتٍ طوال : الراديوم ، الذى لم يكُنْ معروفاً قبْلَ أن تُقدّمه إلى العالَم السيدّةُ مارِي كُورِى بمساعدَةِ زوْجها بيير كُورِى !

وتُشِيرُ مارِى فى مُذَكّراتِها إلى ذلك المعْمَل القديم فتقول: «فى هذا المخزَنِ عشْنَا أجْمَلِ سِنى حياتنَا وأسْعدَها ، وقضَيْنَا أيَّامنا فى عملٍ خالص . . كُنْتُ أعِدُّ طعامَنا حيثُ نَحْنُ حتى لانقْطَعَ تجربةً هامَّة ، وأمْضِى النهارَ أُحَرِّكُ سائِلاً يغلِى على النارِ بعمُودٍ مِنَ الحديد طولُه كَطُولى ! ! » . .

وطالَ صَمْتُ عربى ، فسألَتْهُ علياءُ : « وبَعْد ؟ » . . عِنْدَئذٍ تنَهَّدَ عربى وأجاب : « وبَعْدَ أحَدَ عشَرَ عاماً من زواج بِيير ومارِى كورى ، صَدَمَتْ عربَةُ نَقْل ضخمةٍ بِيير وقتَلَتْهُ فى الحال . . فأكْمَلَتْ مارِى كِفَاحَها العِلْمِىَّ وحْدَها ! !



وقَضَيْنا أيَّامَنا فى عَمَلٍ خالِص !

(٤)

نظر عربى إلى مُذَكِّراتِه وقال :

ـ قبل أَن يَمْضِىَ شَهْرٌ على وفاةِ بيير كورى قَرَّرَتْ كُلِّيَّةُ العُلومِ أَنْ تحُلَّ الدكتورةُ مارِى كورى مَحَلَّ زَوْجِها فى تدريسِ مادَّةِ الطبيعةِ بها !

وفى نهايَةِ عامِ ١٩٠٦ أَلْقَتْ محاضرَتها الأُولَى وبدَأَتْها بنَفْسِ الجُمْلَةِ التى وقَفَ عِنْدَهازوْجُها ، فسالَتْ دُموعُ الحاضِرِينَ وهُمْ يستَمِعُونَ إِليَهَا تُرَدِّدُ كَلماته بصوْتِها الثَّابتِ فتقول : « عِنْدَما نَسْتَعْرِضُ التقدُّمَ الذى بلَغَهُ عِلْمُ الطبيعةِ مَنْذُ عَشْرِ سَنَوات ، يُدْهِشُنا التَّطَوُّرُ الذى طَرَأَ على أفكارِنا . . . » . .

وبذلك أَصْبَحَتْ مارِى كُورِى أَوَّلَ امرأَةٍ تتوَلَّى التدريسَ فى الجامعاتِ الفرنسِيَّة !

وتفتَّحَتْ أَمامَها أَبوابُ المجد ، لكِنَّها ظلَّتْ كما

هى : العالـمةَ المخلِصَةَ والإنسانَةَ البسيطةَ التى لايهمُّها شَىْءٌ فى الحياةِ غَيْرُ البحث العِلْمِىِّ وخَيْر البَشَرِيَّة . .

وأَذكُرُ بهذِهِ المُنَاسَبَة مثالَيْن بارِزَيْن لتفكيرِها العِلْمِىِّ وتصَرُّفِها الإنسانِى . .

حدَثَ أَوَّلُهُمَا عامَ ١٩٠٣ عِنْدَما دُعِىَ زَوْجُها إلى إنجلترا لِيُلْقِىَ مُحاضَرَةً عَنِ الرَّاديوم أَمامَ المَجْمع المَلَـكِى ، فَفِى إحْدَى الحفلاتِ التى أُقيمَتْ لاستقبالِ الزَّوْجَيْنِ العالِمَيْنِ لم تَجِدْ مارِى كُورِى ماتَشْغَلُ به نَفْسَها . . فراحَتْ تَحْسُبُ كَمْ معمل يُمْكِنُ تَشْيِيدُهُ بثَمَنِ المجُوهرات التى تَحْمِلُها المَدْعُوَّاتُ على صُدُورِهن !!

أَمَّا المثالُ الثَّانى الذى أَذْكُرُه ، فحدَثَ بَعْد أَنْ كَشَفَتْ مع زَوْجِهَا عُنْصُرَ الرَّاديوم . .

لَقَدِ اسْتَعَدَّتِ المصانعُ فى جميعِ بُلْدَانِ العالَم لإنتاجِ العُنْصرِ الجديد ،وكان باستطاعَةِ الزَّوْجَيْنِ أَن يُسجِّلَا أَسرارَ صناعَتِهِ التى لم يَكُنْ أَحَدٌ غَيْرُهما يَعْرِفها . . ولَوْ أَنَّهُما فَعَلَا ذلك لَأَصْبَحا من أَثْرَى الأَثْرِياء !

لَكِنَّ مارِى كُورِى تعتَبِرُ الرَّاديوم مِلْكاً للبشَرِيَّةِ ، وليس لَها ولِزَوْجِها . .

ويُؤَيِّدُها زَوْجُها ، فيُرسِلَانِ أَسرارَ صناعَةِ الرَّاديوم إلى كُلِّ مَنْ يَطْلُبُها ! !

هزَّتْ علياءُ رأسَها مُعَبِّرَةً عَنْ إعجابِها ، فقال عربى :

ـ كانَتْ مارِى كُورِى قد نالَتْ جائزة « نُوبلَ » الشَّهِيرَةَ عامَ ١٩٠٣ ، بالاشتراكِ مع عالِمٍ آخَرَ ،

فلمّا جاءَ عامُ ١٩١١ مَنَحَتْهَا هَيْئَةُ البَحْثِ العِلْمِيِّ بالسويد جائِزَةَ نُوبل لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ !

واندَلَعَتِ الحربُ العالَمِيَّةُ الأُولَى فتطوَّعَتْ لخدمَةِ الجرحى ، وقدَّمَتْ لَهَمْ خدماتٍ عظيمة . .

وما إنِ انْتَهَتِ الحربُ حتّى عادَتْ إلى مَعْمَلِها وأَبحاثِها وتلاميذِها مِنَ العُلَمَاءِ الشُّبَّان ، تُوَجِّهُهُمْ وتُرْشِدُهُمْ وتساعِدُهُمْ وتُعَلِّمُهُمُ الشَّجاعَةَ والصَّبْرَ والبَذْلَ والتَّضْحِيَةَ والإِخْلَاص . .

وسافَرَتْ أَكْثَرَ مِنْ مرَّةٍ إلى بُولَنْدَا التى نالَتْ استقلالَهَا بَعْدَ أَنْ قضَتْ مِائَةً وخَمْسِينَ سنةً فَرِيسَةً لِلاسْتعْمار ، وفى وارسُو وضَعَتْ حَجَرَ الأَساسِ لِمَعْهَدٍ يُعَدُّ مِنْ أَعظَمِ معاهِدِ الرَّاديوم فى العالَم . .

وسافَرَتْ إلى أَمريكا مرَّتَيْن . .

وكذلكَ سافَرَتْ إلى إنجلترا وهولندا وإيطاليا وبلجيكا والبرازيل . .

وفى كُلِّ مكانٍ كان النَّاسُ يستقبلُونها استقبالًا حافلًا ، ويكرِّمونَها أعظمَ تكريم ..

وأخيرًا ، بعدَ ثمانيةٍ وعشرينَ عاماً مِنْ رحيلِ زَوْجها ، تَلْحَقُ به مارِى .. مارى كورِى .. السيدةُ العظيمة .. والعالِمةُ العظيمة .. والإنسانةُ العظيمة ..

يَمُوتُ جسدُها الذى أرهقَهُ طُولُ الكفاح وقضَى عليْه تعرُّضُها المستمرُّ لإشعاعاتِ الرَّاديوم ، ويُخلِّدُ التَّاريخُ اسمَها وعملَها من جيلٍ إلى جيل !

مسحتْ علياءُ عينَيْها وقالَتْ بصوْتٍ مُنْخفِضٍ :

« يرحمُها الله . لَوْ كانَ لها أولاد .. فَمَنْ يدْرى .. ربَّما وَرِثُوا شيْئًا مِنْ عبقريَّتِها ! ! » ..

فنهضَ عربى يقُولُ مُعْتذرًا .

ـ عفْواً ياعلياء ! نَسيتُ أنْ أُحدِّثكِ عَنِ ابْنتيْها اللَّتيْن كانَتْ تُحبُّهُمَا حُبًّا كثيرا ، وتُشْرِفُ على

تَرْبِيَتِهِما بِنَفْسِها . . على الرَّغْمِ من مشاغِلِهَا العِلْمِيَّةِ الكثيرة !

سأَلَتْ علياءُ باهتمامٍ : « وماذا صَنَعَتِ ابنتاها ؟ » . .

فأَجابَ عربى :

ـ الكُبْرَى واسْمُها « إيرين » ، اهتَمَّتْ بِدِراسَةِ العُلُومِ كوالِدَتِها وفازَتْ بجائزَةِ نوبلَ مثلها !

وتناوَلَ الكتابَ الذى كان يَقْرأُ فيه عِنْدَ دُخُولِ علياءَ وأَضاف :

ـ أَمَّا الصُّغْرَى ، واسْمُها « إيف » ، فهى مُؤَلِّفَةُ هذا الكتابِ المُتَرْجَم . .

وَفيه سجَّلَتْ حياةَ أُمِّها ، السيِّدَةِ العَظِيمة . .